القدس المحكي الأول في الكتابة السير ذاتية

بين جبرا إبراهيم جبرا وإدوارد سعيد

الباحثة صليحة بن حني

جامعة قاصدي مرباح ورقلة

الجزائر

الملخص

تحاول هذه الدراسة تمثُّل الكتابة السير ذاتية لدى وجهين بارزين استدعيا القدس من موقع الاغتراب لتصبح الكتابة عنها ملاذا ، وهاجسا للاقتراب منها ،أو العودة إليها ،فكثيرا ما صادف المحكي عن القدس نتاجات أدبية تولدت من رحم المخيلة فحسب ، وأخرى ترسمت الحفر في الذاكرة باعتبارها نقوشا لا تنمحي بسهولة ، والحال أن أكثر النقوش رسوخا جاءت من محكيات عاشت الابتعاد والانفصال عن وطنها .فهذا الحفر الذي يشتغل في النص السير ذاتي لجبرا إبراهيم جبرا وإدوارد سعيد يبرز خصوصية هذه الكتابة المُؤثلة لحميمية علاقتها بالمدينة .

فلحظة تحتفي السيرة الذاتية لسعيد وجبرا بالأمكنة لا يعود هذا الاحتفاء لدى الأول يترصد إلا حضورا لافتا لمكان واحد خارج المكان ،وحين تعبر ذكرى طفولة الثاني في البئر الأولى معبر الكتابة عن الذات فإن البئر الأولى تغدو ثانية ،وثالثة في جل إبداعاته إلا أن هذه الآبار ستبقى تسترجع صدى الصوت الأول الذي نادى باسم القدس بوصفها المحكي الأول للمفكر والكاتب معا .

Abstract :

The study aims to representing the writing of biographies of two eminent faces narrating Jerusalem from a safe outsider haven to become their only way to approaches or coming back to it. The storyteller of Jerusalem has come across literary results that were only emerged from a deep imagination. And part of it that has been drilled in the memory as indelible inscriptions easily. However, the most inscribed inscriptions came from deep sarrow and grief that they lived away from their homeland The idiosyncrasy in writing of Jabbra Ibrahim Jabbra and Edward said is exemplified by the intimacy of its relationship with the city. When the biographies of said and Jabbra celebrate the places this celebration with said will be the special representing of one place outside place and when the memory of childhood of Jabbra in the first well crossing the self-writing However the childhood of first well will be the second and third in his novels but these wells will still hear the sound of the voice who called the name of Jerusalem as the first narrative of the writer and the thinker together.

مدخل

أوجد الخالق وشيجة جامعة بين المكان والإنسان لا تنفصم عراها بسهولة ، فالعارف لا يعدم القول بأن المكان كان الأسبق وجودا من الإنسان قبل أن يستخلف في الأرض ، وبين تمنع وتملك عاش الإنسان فرحة الاتصال بالمكان أو التوق والحنين إليه بعد انفصاله عنه.

ولئن بين العلم أن الإنسان يحقق معرفته ،وخبرته بالعالم الخارجي من خلال إطارين أساسين هما الزمان والمكان فإنه عد " المكان صورة أولية ترجع إلى قوة الحساسية الظاهرة التي تشمل حواسنا الخمس[1] "في حين يتحدد الزمان بوصفه شكلا لتجربتنا الداخلية إلا أن الزمان يأخذ صفة" أعم وأشمل من المكان "[2] وقد أضفت النظرية الأدبية على الزمان والمكان بعدا معرفيا .

هذا البعد المعرفي الذي حدد بأن الزمان والمكان يشكلان "العامل الأساس في تحديد سياق الآثار الأدبية من حيث اشتمالهما على معنى إنساني ، وقد يتمثل الفرق بينهما في أن المكان – بمعاونة الأشياء – ينزع إلى تحديد موقف ،ووضع شخص ما بينما نجد الزمان هو المحور الكامن في الأحداث مما ينتهي بنا إلى وضع ثنائية جديدة بين هاتين المجموعتين "[3].

ولعل المكان لم يكن بمنأى عن النظرية الأدبية متجاوزة اعتباره "مجرد خلفية تقع فيها الأحداث الدرامية كما لا يعتبر معادلا كنائيا للشخصية الروائية فقط ،ولكن أصبح ينظر إليه على أنه عنصر شكلي وتشكيلي من عناصر العمل الفني "[4] . وهكذا تراءى المكان مجالا للبحث والدارسة لا يغفل عنه الدارسون ، ويترسمون وجوده بين ثنايا ما كتب المبدعون .ويبدو أن كاتب السيرة الذاتية لا يتمثل زمنا ماضيا عاشه بل يمنح المكان صورته الأزلية المحفورة بالذاكرة .

جبرا إبراهيم جبرا وإدوارد سعيد

ولا يبدو الحكي عن المكان من قبل اسم احتفت حياته بجميع أشكال الإبداع إلا لونا آخر ينضاف إلى لوحته التشكيلية التي رسمها لعقود من الزمن .عرف فيها القارئ العربي جبرا إبراهيم جبرا الروائي الذي كتب "البحث عن وليد مسعود "و"السفينة "والشاعر صاحب "تموز في المدينة "والناقد المؤمن بأن عليه "أن يبحث عن الصلات ،والوشائج ،والتصاميم الخفية في كل جزء من العمل ،وإبرازها للعين ،لكي تنطلق المعاني الأوسع والأعمق الحبيسة فيه "[5] هذه العلائق الخفية التي وجدها جبرا في كتابة حليم بركات أو في كلامه عن شكسبير ، أو عن والت ويتمان ، فوكنر، وليم بليك.أما جبرا المترجم فقد ترامى جهده الثر على أطراف الإبداع العالمي .

فجبرا الذي ترجم سنة 1957 جزءا من غصن جيمس فريزر الذهبي "أدونيس أو تموز " عاد ليخط أروع ترجماته بمآسي شكسبير الكبرى ، ولم يكتف بهذا الجهد الخصيب في الترجمة ، بل طبع بصمته الخاصة في أوساط الفن التشكيلي فرآه من حوله الفنان المرهف الذي يبدع فنا تشكيليا كما أبدع نثرا وشعرا ودون توقف راح جبرا يمزج كل هذا التنوع الإبداعي بتجربته الذاتية ،فكل شكل من أشكال الفن عنده يمثل شطرا من حياته . والكتابة عن الحياة أو جزء منها هي من أدب السيرة الذاتية و الاعتراف الذي " قد يكون جميلا وبارع التركيب ،وقد لا يكون.فإذا كان ، فهو خلق أدبي ، وإلا فلا " [6] ، ولا يخلو الأمر من أن تكون كتابة السيرة الذاتية عند جبرا هي الأخرى تحفة أدبية .

وقد تبلغ السيرة الذاتية مبلغ القيمة الفنية والنقدية مع اسم آخر صنع من كتاباته عن الأنساق المضمرة في الإبداع العالمي الغربي شكلا من أشكال المقاومة . فإدوارد سعيد المفكر والناقد الثقافي من حاول بكلامه عن الشرق ،الذي كان يُعتقد إلى ذلك الحين أنه مجرد واقعة من وقائع الطبيعة ،أن يكشف الهجس الجغرافي المقيم ،والمتلون كثيرا بعالم بعيد ،ومتعذر بلوغه ساعد أوربا على تعريف ذاتها بكونه الضد والنقيض [7].سعيد الذي أصبح خطابا لافتا في قراءاته للرواية الغربية مناقشا "موضوعات سجالية مسكوتا عنها ، ومنها أن الروائيين البريطانيين في القرن التاسع عشر ،والقرن العشرين ،وحتى من بدا منهم غير مهتم ظاهريا بالسياسة كجين أوستن ،اعطوا الإمبريالية شرعية ثقافية "[8].

هكذا بدا لإدوارد سعيد أن يقرأ هذه النصوص من منظور مختلف ، وهو ما عبر عنه بقوله "إن طريقتي هي أن أركز بقدر المستطاع على أعمال فردية ،أن أقرأها أولا كنتاج عظيم للخيال الخلاق أو التأويلي ، ثم أن أجلو كونها جزءا من العلاقة بين الثقافة والإمبراطورية ." [9] لما تحمله هذه الأعمال من

تمثيلات للثقافة التي نشأت فيها . ولإيمان راسخ منه أن الكُتاب لا يتحددون بصورة آلية العقائدية الإيديولوجيا ،أو الطبقة ،أو التاريخ الاقتصادي ، بيد أن المؤلفين كما يؤمن ، كائنون إلى حد بعيد في تاريخ مجتمعاتهم ، يشكلون بذلك التاريخ ، وبتجربتهم الاجتماعية بدرجات متفاوتة **[10]** حيث لون إدوارد سعيد هذه القراءة بطابع خاص ، والفاحص لأعماله يدرك أنه تكاد تكون تجربة المنفى وانفصاله عن وطنه الأم سببا رئيسا في اتخاذه هذا المنحى من الكتابة النقدية .

ويبدو أن تجربة الإجلاء عن المكان والمنفى أصبحت "التجربة الأكثر دلالة على سعيد : اقتلاع الذات عن الزمان والمكان معا "**[11]** ، بل إن اقتلاع جذوره من مكانه أو وطنه فلسطين كان "إطارا مهما في تحديد توجهه المعرفي ، وفي رؤيته النقدية ، ومنهجه التأويلي ، وفي طبيعة الأسئلة المركزية التي كانت تؤرقه في كل مشروعه النقدي والفكري "**[12]**. والظاهر أن هذا الاقتلاع تجسد في نقده للخطاب الاستعماري حيث " أطلق عمل سعيد ما بدا أشكالا جديدة من الدراسة الثقافية والتاريخية ،وأسس بالفعل لنوعين أكاديميين جديدين ينموان بسرعة : دراسات ما بعد الاستعمار " و"تحليل الخطاب الاستعماري "**[13]** أين سيغدو كاتب الاستشراق من أبرز لوجوه العالمية بنقدها للغرب في شكل من أشكال تمثيلاته المتعددة .

فقد اختار إدوارد سعيد لنفسه مسارا مختلفا من خلال " الاستشراق "و"الثقافة والإمبريالية "،ثم في الكتب الخمسة أو الستة المعنية بفلسطين ، والعالم الإسلامي التي كتبها في الفترة ذاتها تقريبا كان يشعر أنه يقوم بصياغة ذات تكشف للجمهور الغربي شيئا كان إلى الآن إما خفيا أو أنه لم يناقش أو يبحث على الإطلاق**[14]** من قبل الباحثين . أما السيرة الذاتية فسيكون لها النصيب الأوفر من ذوات حملت قلقها الداخلي معها في كل مكان حلت به .

جبرا إبراهيم جبرا وإدوارد سعيد والسيرة الذاتية

غالبا ما يأتي المحكي في الكتابة السير ذاتية تحريضا للذاكرة بهدف استعادة ماض بعيد ، ولا تختلف السيرتان الذاتيان للأديب **جبرا إبراهيم جبرا**، والمفكر **إدوارد سعيد** عن طبيعة السيرة الذاتية بما هي "حكي استعادي نثري يقوم به شخص واقعي عن وجوده الخاص ، وذلك عندما يركز على حياته الفردية ، وعلى تاريخ شخصيته ، بصفة عامة "**[15]** إلا أن جبرا وسعيد لا يستعيدان فحسب جزءا من حياتهما الفردية أو أحداثا معينة من ماضيهما بقدر ما يسترجعان أمكنة أثيرة على نفسيهما بيت لحم ، كنيسة القيامة ، كنيسة المهد ، قبة الصخرة ،ضهور الشوير ، القاهرة ،لبنان . لكن لحظة تحتفي السيرة الذاتية لسعيد وجبرا بالأمكنة لا يعود هذا الاحتفاء لدى الأول يترصد إلا حضورا لافتا لمكان واحد خارج المكان ،وحين تعبر

ذكرى طفولة الثاني في البئر الأولى معبر الكتابة عن الذات فإن البئر الأولى تغدو ثانية ،وثالثة في جل إبداعاته إلا أن هذه الآبار ستبقى تسترجع صدى الصوت الأول الذي نادى باسم القدس بوصفها المحكي الأول للمفكر والكاتب معا .

لقد فضل ابنا بيت لحم والقدس تدوين اللحظات الأعمق والأهم التي حفلت بها حياتهما لما حملتا من وعود الانتماء لمكان واحد ، ولو عاشا بعيدا عنه فقبل الأول بغداد منفى له ، وانتهى المطاف بالثاني في بلاد العم سام الذي تخضبت لحظاته بالمأساة و بمرارة الانفصال عن الوطن واللغة الأم ، وبآثار المنفى فاختار سعيد أن يتمثل كل هذه الآثار محاولا أن يكشف قدر ما استطاع من حياته الشخصية خصوصا بين العام 1935 و العام 1962 **[16]** في كتاب "هو سجل لعالم مفقود ، ومنسي " **[17].**

وهكذا قدم إدوارد سعيد لمذكراته "**خارج المكان** " إذ صار يتعين عليه – بعد تشخيص الأطباء مرضه – أن يتفحص حياة كان قد تقبل "شذوذاتها ، وغرابة أطوارها مثل كثير من حقائق الطبيعة "**[18]** لكن فحص سعيد لكل خبيئة من حياته كان ارتيادا لعوالم من الأمكنة و المشاعر . والأحاسيس اتجاه اسمه الذي كان يلزمه قرابة ،خمسين سنة لكي يعتاد على إدوارد ويخفف من الحرج الذي سببه له الاسم الإنجليزي الأخرق الذي وضع كالنير على عائق "سعيد"**[19].** وبالإضافة إلى هذا فقد فحص إدوارد سعيد مشاعره نحو من كانوا طرفا في حياته وربطته بهم علاقات متغيرة منها الملتبسة التي جمعته بوالده وديع سعيد .

أما العلاقة بوالده فقد ظلت تفرض ، وتحتم عليه أن يكون مختلفا "أن أكون ذاتي كان يعني أن لا أكون تماما في موقفي الصحيح ،ولكن الأمر لم يقتصر على ذلك ،وإنما كان يعني أيضا أني لم أنعم براحة بال [...] كنت دوما في غير مكاني . لم يترك نظام الضبط والتربية المنزلية الجامد الصارم الذي حبسني فيه أبي منذ سن التاسعة .أي متنفس أو أي مجال للإحساس بالذات في ما يتجاوز قواعده وترسيماته " **[20]** لكن قواعد الوالد الصارمة لم تعف إدوارد الابن لاحقا من الانتباه إلى أن هذا النظام الأبوي القاسي قد طبع حياته ببعض الآثار الإيجابية ،ولو خلف وراءه معوقات وموانع . وخلافا لما جمعه بأبيه فإن العلاقة الأكثر حميمية هي العلاقة التي ربطته لمدة ربع قرن بوالدته هيلدا**[21]** الكائن الأكثر انتماء إليه .

و أبقى إدوارد سعيد لوالدته مكانا مميزا بمخيلته ، ووجدانه الأم التي صار مطبوعا بالكثير من "وجهات نظرها ،وعاداتها التي سيرت حياته من قلق يشل إرادتها إزاء تعدد احتمالات التصرف إلى أرق مزمن ،واهتمام عميق بالموسيقى واللغة بجماليات المظهر ،والأسلوب والشكل ".[22] وعبر مشاعره نحو أمه حتى، وهي متوفاة راح إدوارد سعيد يعين الأثر الواضح الذي تركته في حياته ،ودون أن يتخفى وراء شيء من الزيف وسم مذكراته بكثير من الصدق في سرده لمشاعره اتجاه أفراد من أسرته والديه ، عمته نبيهة أنطي ميليا حيث كان "خارج المكان " مرسما لعالم سعيد الذي فقده ، وهو يعرض فيه "طبيعة مشاعره تجاه هؤلاء الأشخاص راسما لقارئه صورة **المكان** المنسحب على خلفية هذه المشاعر " [23] التي قد تبلغ حد التناقض في بعض الأحايين .

أما الحديث عن المكان والماضي و الذكريات ، فخصه جبرا إبراهيم جبرا بكتابين الأول " **البئر الأولى** " والثاني "**شارع الأميرات فصول من سيرة ذاتية** " الكتاب الذي "كُرس بشكل أساسي إلى الفترة الأولى من إقامته في بغداد بعد النكبة الفلسطينية ،واقتصر هذا الكتاب على سنة أو سنتين من حياته الجديدة مع ارتدادات سريعة إلى حياته في فلسطين بعد "البئر الأولى " ثم لقطات من حياة الدراسة في انكلترا "[24] ، ففي شارع الأميرات اختبر جبرا استعادة مرحلة سنية توسم بالنضج.

ومقارنة بشارع الأميرات كانت الكتابة في "البئر الأولى" حفرا عميقا في حياة أو بئر جبرا الأولى أليست حياة الإنسان إلا سلسلة من الآبار؟ الحفر عن أول قلم ودفتر امتلكه جبرا الطفل عن هيطلية أمه ،والحكيم الرومي وحماره عن أشياء محددة استقاها من طفولته ، وهو ما عبر عنه قائلا "كان لابد من أنتقي أحداثا معينة بقيت تفرض نفسها على ذاكرتي ، وتتضح في دمي برقة لا استطيع تغييرها وجمال يتزايد مع الزمن ، وشاعرية تزيدها الآلام توقدا ، ومفارقات تتوازى بغرابتها مع العشق الطفولي لكل دقيقة مع تلك الحياة – تلك الحياة التي قد تبدو الآن في الكثير منها قاسية ،ومرفوضة "[25] هي قسوة ثانية من نوع آخر حتمتها حياة الفاقة التي عاشها الأديب .

وإذا كان إدوارد سعيد عرف حياة ميسورة وفرها له والده وديع سعيد، فما عاينه جبرا في البئر الأولى لم يكن صورة من صور الثراء والرفاهية . فهو الذي عاش تجربة مرض والده وتخلي أخوه يوسف عن دراسته ليعيل عائلته ،مؤكدا أن الفقر جعله أشد قربا أو صلة "بالأرض بالتراب والعشب والماء. أقول الأرض والتراب والعشب لأنني عرفتها بقدمي الحافيتين ." [26] ، وهي تعبر طرقات بيت لحم في بردها وحرها.

وتطالعنا سيرة جبرا بزمن محكيها القادم من حاضنة الطفولة ، وفترات قليلة من المراهقة ، هذه الكتابة التي كان مرامها تدوين لحظات من الطفولة أو" البئر الأولى" هي بئر الطفولة " إنها تلك البئر التي تجمعت فيها أولى التجارب ،والرؤى ،والأصوات ،أولى الأفراح والأحزان ،والأشواق والمخاوف التي تنهمر على الطفل فأخذ إدراكه يتزايد ، ووعيه يتصاعد لما يمر به كل يوم يعاينه أو يتلذذ به "[27] ، وهكذا شغلت الطفولة مساحة عريضة من البئر الأولى . ولأن جبرا يدرك أهمية الطفولة ،ودورها الفاعل في شحذ الذهن بل و يعتبرها البئر التي لا تنضب ،حيث يقول " طفولتي مازالت هي ينبوعي الأغزر[...] إنها البئر أو العين التي تمدني بالكثير من النسغ لما يتنامى في ذهني من نبت الخيال ، وأرجو أنها ستستمر في منع الجفاف أو العطش "[28]. وهو ما كان فقد بقيت مخيلة جبرا تقتات من جمال الطبيعة الذي عرفه في منبت وطنه .

و لعل لسان حال جبرا يتمنى كما تمنى وليد مسعود " لو أن للذاكرة إكسيرا يعيد إليها كل ما حدث في تسلسله الزمني ،واقعة واقعة ، ويجسدها ألفاظا تنهال على الورق " [29] لكن جبرا يدرك أن أمنية كهذه تبدو مستحيلة ، ولأن استعادة كل واقعة من حياته مهمة عسيرة فضل جبرا أن يستعيد زمن اثنتي عشر سنة فقط قائلا "فقررت أخيرا الاكتفاء بالسنين الاثنتي عشر الأولى من حياتي –أو بالأحرى بسبع أو ثماني سنوات منها – منتهيا بانتقالي مع والدي من بيت لحم ،إلى القدس عام 1932 .وكان هذا حدثا حاسما بالنسبة لما جرى لي فيما بعد "[30] ، ويبدو أن فضاء الانتقال للقدس لم يحمل فقط معنى عاديا بل صار حدثا جللا سيكون له الأثرة الواضحة في تشكيل شخصية جبرا الطفل ثم جبرا المبدع والفنان لما ستعنيه لاحقا المأساة الفلسطينية والانفصال عن الوطن ، وبيت لحم ، والقدس في كتاباته الإبداعية .

فالقارئ للبحث عن وليد مسعود أو يوميات سراب عفان أو السفينة يدرك أنه يعسر أحيانا "الفصل بين جبرا الإنسان ، وجبرا الكاتب ،أو بينه وكتاباته "[31] فلم تكن شخصيات جبرا في رواياته بعيدة عن مشاعر ألم وخسارة عاشها الكاتب نفسه بل كثيرا ما يحسبها القارئ تنزوي وراء ذكرياته , وبتعبير عبد الرحمن منيف فإن "جبرا بث مقدارا غير قليل من "السيرة " في ثنايا ما كتب ،أولا في الروايات ،ثم في الكتب النقدية "[32] ، وهو ما يشير إليه جبرا "أما أنا فإنني دائما موجود في ثنايا المتاهات التي أبتدعها في كتاباتي . ولست أجد عن ذلك ندحة.فالكتابة عندي ضرب من الاعتراف "[33] ، وقد عرف جبرا هذا الضرب من الاعتراف في سيرته الذاتية .

السيرة الذاتية التي لم يعتبرها جبرا ضربا من التاريخ للعشرينات أو بدايات الثلاثينيات بقوله "أنا لا أكتب هنا تاريخا لتلك الفترة [...] .و لا أنا أكتب تاريخا لأسرتي لأن ذلك شأن آخر، ولا أزعم أن لدي القدرة عليه . و لا أنا أكتب تحليلا اجتماعيا لبلدة فلسطينية كانت يومئذ صغيرة "[34] لكن جبرا في البئر الأولى لا يكتب عن شخصه الموجود في فلسطين ، وبيت لحم ،والقدس فقط بل يكتب عن "بعض تلك البيوت ، والأشجار والوديان ، والتلال ، بعض الشموس ،والأمطار والوجوه والأصوات التي بها تحيا ، وبها تكتشف القيم والأخلاق ، وتكتشف الجمال والقبح ، والفرح والبؤس جميعا "[35].

ويبدو أن الوعي بالمكان عند جبرا يمتد بجذوره إلى الطفولة بتعبيره قائلا :" وهذا كله يعود عندي ،كما لاشك عند الكثيرين غيري ، إلى تجربة المكان إبان الطفولة وسنوات المراهقة – تلك الفترة التكوينية الحافلة – التي تجعل الإنسان ما هو عليه جوهريا حتى النهاية ،مهما تغيرت ظروفه فيما بعد "[36] فقد تعينت علاقته بالمكان في بيت لحم من خلال "كنيسة المهد التي قُدت من الصخر ظاهرا وباطنا . وساحتها الأمامية مرصوفة أيامئذ ببلاطاتها صقلتها ملايين أقدام البشر طوال ستة عشر قرنا من الزمن"[37]. لكن علاقة جبرا بالقدس ستبدأ من الطريق إليها .

جبرا إبراهيم جبرا الطريق إلى القدس

ربما كانت حال جبرا – من زار القدس أول مرة – أن يحمل وعودا بالعودة إليها ، وهو ابن الثامنة، وأن يشق طريقه إلى أزقتها،وبيوتها مرة أخرى ،وأن يعيش قلق الضياع بين طرقاتها. فلا زالت ذاكرة جبرا تتعثر بذكرى الرحلة الأولى التي قادته ، ووالدته إلى القدس لشراء حذاء آخر بدلا عن حذاء البوتين الذي باعته أمه لتدخر بضعة قروش للعيد [38]. وقد كان جبرا تحت وطأة الدهشة ، وهو يصف تجربة زيارته قائلا " وقمت بأول رحلة لي إلى المدينة الرائعة – القدس . ورأيت باب الخليل لأول مرة ، وقد ازدحم بالبشر ، والدواب ، ونزلنا في "السويقة" ، وأنا لا أكاد أصدق أن في الدنيا حوانيت ، وأناسا بهذه الكثرة والصخب "[39].الذي تضج به "المدينة الرائعة" هكذا حدد جبرا الكاتب والإنسان العلاقة الأبدية بالقدس التي ظلت قابعة في كل ركن منه .

والواضح أن توصيف جبرا حمل قدرا كبيرا مما شاهده لأول مرة في المدينة. فالدكاكين ،الأصوات الأحذية ،حارة اليهود ،النساء ، كانت الصور التي التقطتها ذاكرة جبرا الطفل حيث كان يصف كل تفصيل انعكس فيها.ودون أن يفارقه ملمس الحذاء الذي باعته أمه خلف جبرا القدس وراءه عائدا إلى مدينته ،مانحا

قدميه لفردتين بائستين اشتراهما بقرشين بدلا عن حذائه الأول . [40] الحذاء الذي أصبح مجرد ذكرى كلما حل العيد .

وقد قُدر لجبرا أن يعود للقدس مرة ثانية ، لكن هذه المرة كانت رحلته إليها من دون والدته وبعيدا عن التجربة الأولى التي تركت داخله شعورا بالحسرة .وهو يعود أدراجه من القدس محملا بذكرى الحذاء المرقع الذي أبغضه ،وحاول التخلص من ذكراه[41] كانت رحلته الثانية لأجل الرسامة في دير مارمرقس مبعث بهجة وسرور. فبالرغم من رفض والدته قرر جبرا وصديقه جورج أن يرافق جماعة من الصبية في هذه الرحلة مشيا على الأقدام ،وبقليل من بزر البطيخ المحمص الذي ملأ به جيوب سترته بدأ جبرا رحلته مع المعلم جريس [42] إلى القدس.

كان الطريق إلى القدس في وصف جبرا للطبيعة التي تزخر بها فلسطين أشجار الزيتون ،والخروب ودوالي العناب يبشر بغبطته رغم علمه أن المسافة الواجب قطعها هي ثمانية كيلومترات ، وهي كما يقول جبرا "من المعالم المثبتة على جانبي الطريق – تلك الأحجار المستطيلة التي نقرت فيها أرقام الكيلومترات التي كان يروق لي أن أجلس عليها قليلا ،كلما بلغت حجرا منها ،زهوا بما قطعت من مسافة سيرا على القدمين "[43] في رحلته إلى القدس .

أما الثمانية كيلومترات المسافة التي قطعها جبرا فستبقى عالقة في ذهنه على حد تعبيره " ولسوف تمر السنون بعد ذلك ،وأقطع تلك الطريق جيئة وذهابا عشرات المرات حتى لأعرف محاجرها كلها ، وكل صخرة على جوانبها ، وكل زيتونة ودالية ، وكل دار تطل عليها – والدور أيامئذ قليلة –فأعرف كل باب ،ونافذة فيها أشكالها ،وألوانها "[44] .ولأن القادم إلى القدس ينبغي أن "يأتيها من أبواب أسوارها التي ترتصف حجارتها الضخمة ،صفا فوق صف ،منبثقة من السفح الصخري للتلال التي بنيت عليها في الأصل : أبراجها تذكر بماض يعود إلى بضعة قرون ، و لكن حجارتها السفلى وأسسها تذكر بالعهود الأولى التي تعود إلى أربعين قرنا أو أكثر من زمن يضج بالتاريخ "[45].عاد جبرا ليدخل "سويقة "باب الخليل من جديد .

وبعد انفصاله عن الجماعة التي صحبها رافق جبرا صديقه جورج إلى بيت عمته لقضاء ليلتهما عندها حتى يحين موعد الرسامة في صباح اليوم التالي .وقد استقبل جبرا ذهابه إلى الكنيسة بكثير من الدهشة والغبطة لكن سرعان ما استحالت دهشته إلى خوف وجزع .فبعيد انتهاء الرسامة ونزوله الباحة انتبه جبرا إلى أن جماعته قد تفرقت ،وصديقه جورج اختفى فما كان منه إلا أن وجد نفسه ضائعا يتلمس طريق

العودة إلى بيته [46] ذلك أن الداخل إلى القدس "إنما يتغلغل في طرقات معقودة ،وأزقة مقنطرة تتخللها أفضية بين حين و حين ليؤكد شعاعها العتمات المتعاقبة ، ويكون السير على الأرضية المبلطة بالحجارة الصقيلة كالسير من خلال رقرقة الحرير، وحفيف الزخرفة التي ترسمها الأضواء والظلال "[47] ، وهو ما وجده جبرا بعد ضياعه "وخرجت إلى الأزقة التي لا أعرفها جزعا مضطربا ،لولا أن متعتي برؤية الطرق الصاعدة النازلة ،المتفرعة دوما ،المنعطفة دوما ،الملأى بالأطفال في ملابس يوم الأحد كانت تغالب اضطرابي ، وجزعي وأدركت أنني لن أهتدي إلى بيت عمة صديقي في تلك الشعاب مهما حاولت "[48] ،ومن ثم فإن محاولات جبرا صارت تهجس بكيفية العودة إلى بيته .

وباهتدائه إلى السويقة صعد جبرا أدراجها الملساء في اتجاه باب الخليل قاصدا الساحة المجاورة حيث تنتظر السيارات والعربات مجيء القاصدين إلى بيت لحم والخليل ،وبعد أن يأس أن يجد من يعرفه . [49] اختار جبرا أن يرجع إلى بيت لحم مشيا على الأقدام "سأعود إلى أهلي ، وأروي لهم عن القدس ، وعن رسامتي ، وامتدت الطريق "[50] إلى بيت لحم . ورغم التعب حقق جبرا مراده ،وعاد لبيته ،لكن هذه المرة لن يكون والده من يروي له الحكاية بل سيكون جبرا من سيروي محكيه الأول عن القدس .

ولا تفارق وجدان جبرا ذكرياته عن الأمكنة عن بيت لحم عن كنيسة المهد أو كنيسة القيامة، أما القدس فسيكون له عنها ذكريات أثيرة بُعيد انتقاله للعيش فيها.ففي أواخر شهر آذار سنة 1932، وباقتراح من أخيه يوسف قررت العائلة الانتقال إلى القدس .المدينة التي توجس منها جبرا خوفا من أن يضيع فيها كما ضاع مرة من قبل [51] لكن هذه المرة لم يضع جبرا فيها بقدر ما عرف كل زاوية منها ، وكتب عن القدس في كل مؤلفاته إلا أن جبرا لم "يكتب عن أية مدينة فتأتي أوصافه مجردة ذهنية ، بل عن القدس التي فقدها في أوج تكون وعيه بنفسه ،ومجتمعه وما كان ،وما يريد لنفسه فارتبط مصيره بمصيرها حتى أصبحت رمزا مقدسا حيا لغربته المتجلية في كل ما كتب "[52].وفي أجمل ما رسم .

وهكذا كانت 1932 سنة التغيير ،وانتقال جبرا إلى القدس و مدرسة الرشيدية الثانوية و الحي" الجديد – جورة العناب ، التي كانت على منخفض من الطريق العام ،قبيل بلوغ باب الخليل ، ويشمخ فوقها وفوق الطريق ، سور المدينة الغربي ،حيث قلعة النبي داود ، ومئذنة القلعة ، وكلتاهما من معالم القدس الشهيرة ولسوف أرسمهما بالألوان المائية في لوحة من أجمل ما رسمت بعد بضعة سنوات "[53] ، وخلال سنوات انتقاله إلى القدس عرف جبرا كشوفات كثيرة كانت – يقول جبرا– "هناك مدينة القدس الجميلة ،أكتشفها حيا حيا ، وحجرا حجرا ،القديمة منها والجديدة ، تاريخها وحاضرها "[54].

ويبدو أن انتقال جبرا من بيت إلى بيت نتيجة الظروف القاسية التي عرفتها عائلته سيصير مع المأساة الفلسطينية قدرا حتم عليه أن يجتث من جذوره وأن يبقى الفلسطيني بداخل سعيد – كما يقول – مشدودا إلى "الكيفية التي أدى بها عدد متزايد جدا من المغادرات إلى زعزعة أركان حياتي منذ بداياتها الأولى . وفي نظري إن ما من شيء يميز حياتي على نحو أشد إيلاما – والمفارقة أنه هو ذاته ما أتوق إليه توقا – أكثر من تنقلاتي العديدة عبر البلدان، والمدن، والمساكن، واللغات، والبيئات، وهي تنقلات ظلت تحركني خلال تلك السنوات "**[55]**. ومن ثم فقد احتلت الجغرافية ركنا مهما من حياة إدوارد سعيد .

إدوارد سعيد والجغرافية الأولى

عاين إدوارد سعيد ،وهو ابن الثالثة عشر معنى المنفى ، ومرارة الاغتراب عن مكانه الأول قائلا "مع ربيع 1948 كانت عائلتي قد أجليت عن المكان ،وعاشت المنفى منذ ذلك الحين "**[56]** ، حيث سيمثل المنفى لسعيد بوصفه منفيا "الشرخ المفروض الذي لا التئام له بين كائن بشري، ومكان الأصلي بين الذات وموطنها الحقيقي : فلا يمكن البتة التغلب على ما يولده من شجن أساسي "**[57]** ، وشعور عميق بألم الخسارة . وإن كان سعيد قد تأمل في عديد المرات محاسن ومشاق أن يكون المرء غريبا ومنفيا ، وكان في العادة يشدد على المزايا الفكرية التي يمكن كسبها من تلك المواقع إلا أنه أوحى أن وعيا منفويا ،وعلاقة ظلت إشكالية مع الوطن الضائع ، شكلتا موقفه النقدي بأسره وأثرتا في طريقة تفكيره وكتابته **[58]**.

فبعد الإبعاد المبكر أو الارتحال الأول عن القدس بدت حياته محكومة بتعدد الأمكنة بل كانت– كما عبر عنها –"الجغرافية في مركز ذكرياتي عن تلك السنوات خصوصا جغرافية الارتحال من مغادرة ،ووصول ،ووداع ومنفى ،وشوق وحنين إلى الوطن ، وانتماء ناهيك عن السفر ذاته "**[59]** فهو الذي فرض عليه أن يحيا بين عالمين لا على مستوى المكان فحسب بل على مستوى اللغة الأم ، وانفصامه عنها. الانفصام الكبير في حياته بين لغته العربية ،وبين اللغة الإنجليزية ، وهي اللغة التي تعلم ،وكتب بها **[60]** أبحاثه وكتبه ، وسيرته الذاتية .

يدرك الفاحص لمذكرات إدوارد سعيد "خارج المكان " أن **القدس** الجغرافية الأولى التي انطبعت بذاكرته ،وعلى الرغم أن والديه كانا يعيشان في القاهرة 1935 فقد قررا أن تكون ولادته مقدسية المكان ويرجع سعيد دواعي هذا القرار إلى أن والدته كانت "قد ولدت في أحد مستشفيات القاهرة طفلا ذكرا تقررت تسميته "جيرالد" إلا أنه أصيب بالتهاب قضى من جرائه بعيد ولادته. وكبديل جذري من كارثة استشفائية أخرى ،سافر والدي إلى القدس خلال الصيف " **[61]** أين سيولد إدوارد في بيته المقدسي.

البيت الذي سيبقى بعيدا عنه ،وستكون العودة إليه حلما مؤجلا ." وقد مر وقت طويل بلغ 45 سنة من الغياب قبل أن يتمكن هو زوجته ،وأولاده زيارة وطنه المفقود ،وقصد منزل العائلة في القدس ثم المنزل الذي نشأت فيه أمه في الناصرة ،وذلك في عام 1992 بعد حوالي من سنة من اكتشافه أنه مصاب بسرطان الدم اللمفاوي كما لو أنه ذهب ليودع البيت الذي ولد فيه لا ليستعيده "[62] بل ليقاوم مشاق المرض الذي كان يستدعي– بتعبير سعيد – "الإكثار من الاستذكارات ،ومحاولات إحياء نتف من حياة عشتها أو استحضار بشرا غابوا "[63].أو بشرا لازالوا على قيد الحياة .

وبالقدر الذي لم تمثل فيه ذكريات سعيد الأولى عن فلسطين حالة استثنائية بل يعرض له أن يصفها بأنها " ذكريات عادية ،والغريب أنها غير لافتة ،قياسا إلى عميق انشغالي اللاحق بالشؤون الفلسطينية "[64] إلا أن استعادته لبعض من هذه الذكريات ليظهر كثيرا من ذلك التباين بين الحياة في القدس ، والعيش في القاهرة أو لبنان والولايات المتحدة الأمريكية .

ولئن عد إدوارد سعيد كل مكان من الأمكنة التي عاش فيها– قائلا –"يملك شبكة كثيفة ،ومركبة من العناصر الجاذبة شكلت جزءا من عملية نموي ،واكتسابي هويتي ،وتكوين وعيي لنفسي والآخرين "[65] ،إلا أن القدس كانت المكان الأمثل الذي حمل له الشعور بالانتماء إلى العائلة ،والعشيرة ،والحرية فمقارنة بإقامته في القاهرة – يذكر سعيد – بدت إقاماته "المتقطعة في فلسطين ذات طبيعة عائلية صرفة، أي أننا لم نكن نأتي أي نشاط كعائلة مصغرة ، وإنما يلازمنا دائما سائر أفراد العشيرة ....وذلك على العكس تماما مما يحدث في القاهرة حيث كنا متوحدين في بيئة نفتقد فيها العلاقات الفعلية الأمر الذي زاد إحساسنا بالتماسك الداخلي "[66].

تلمس ابن القدس شطرا من هذا التماسك الداخلي الذي عاشه في فلسطين. مستعيدا فضائل ما ملكه، وفقده بقوله " كانت فلسطين مكانا أسلم به تسليما، بما هو الوطن الذي انتمي إليه ، يعيش فيه أقرباء وأصدقاء بطمأنينة لا تحتاج إلى تفكر"[67] .هناك حيث منزله العائلي الواقع ،"في الطالبية .وهو حي من القدس الغربية قليل السكان بناه ،وسكن فيه حصرا فلسطينيون مسيحيون "[68] من أمثاله .وبقدر ما كانت تتباعد زياراته للقدس – يقول إدوارد سعيد – "استقطبت فلسطين طابعا ناعسا حلميا .هناك كنت أتحرر من ذلك الشعور الحاد بالوحدة الذي أخذ يقض مضجعي فيما بعد [...] . وعلى الرغم من أني كنت أشعر بانحسار وطأة التنظيم المحكم للزمان والمكان .وهو تنظيم كان محور حياتي في مصر،فأني لم أستطع الاستمتاع كليا بذلك التحرر النسبي منه الذي عشته في القدس"[69].

ورغم هذا التحرر لم تكن جغرافية حي الطالبية عند إدوارد سعيد بتلك الرحابة التي وجدها في جغرافية القاهرة ، وهو الذي يثبت هذا القدر من الاتساع بقوله " أما جغرافية القاهرة ، وبيئتها الأغنى دلالة ، والأشد كثافة فكانتا تتركزان بالنسبة إلينا في الزمالك وهي الجزيرة التي تتوسط النيل بين المدينة القديمة إلى الشرق والجيزة جهة الغرب يسكنها الأجانب والأغنياء المحليون "[70] ، ومع كل هذه الكثافة فجغرافية الزمالك لم تحمل شيئا من التجانس السكاني الذي وسم حيه في القدس –يقول سعيد–" فخلافا للطالبية المتجانسة السكان من تجار ، ومهنيين ميسورين. لم تكن الزمالك تشكل جماعة موحدة ، وإنما كانت أشبه بالمركز الكولونيالي الأمامي يتحكم فيه الأوروبيون الذين لم يكن لنا– أو لم يكد يكون لنا – اتصال بهم . وقد شكلنا عالمنا الخاص داخل الزمالك "[71] .

وبمرور السنوات بدأت تنحصر رحلات إدوارد سعيد إلى القدس خاصة بعد سنة 1942 . ففي فترة النصف الأول من هذه السنة كرست عائلته فترة أطول لقضاء عطلة الصيف في فلسطين ،وقد اعتبر سعيد بأن ذلك الصيف غير مجرى عائلته على نحو دراماتيكي حيث اجبرت أسرته على السفر بالسيارة بدلا من القطار بسبب ظروف الحرب العالمية . [72] ولم تكن عطلة الصيف التي قضتها العائلة في رام الله لتقتصر على مصاعب الطريق من القاهرة إلى فلسطين بل راحت تتجاوزها إلى انتكاسة والده الصحية. فقد ظلت صور الأب في انغلاقه وصمته تفرض نفسها على ذاكرة إدوارد الابن لسنوات ، ومع عودته إلى القاهرة بدأ مسار التحول في حياة سعيد بل، وشجعته أمه على الاعتقاد أن المرحلة الأوفر السعادة ، والأقل أشكالا قد ولت بلا رجعة [73] هكذا بدت الحياة الهنيئة التي كان ينعم بها إدوارد سعيد في مكانه الأول تتهادى بعيدا .

فلربما لأنه كان يعرف منذ البداية كلما زار القدس أن إقامته المقدسية بقيت تعين ذلك الشعور الطليق والمؤقت ،والزائل الذي عذبه دائما،وقد تبين لاحقا–لإدوارد سعيد– أنها فعلا كذلك . [74] ومنه فقد ظل سعيد لسنوات كثيرة ينسب حياة السعادة والحرية المؤقتة إلى الجغرافية الأولى التي عرفها . ذلك وإن كان سعيد ارجع السبب الرئيس في تدوينه لسيرته الذاتية إلى أنه كان مشدودا إلى أيامه الأولى حين كان صبيا في القدس ، والقاهرة ، وضهور الشوير فإنه وجد نفسه ،وهو يحيي من جديد ما في سنواته الأولى من مآزق سردية ،إحساسه بالشك ،وكونه خارج المكان ، وشعوره الدائم بأنه يقف في الركن الخطأ،في مكان بدا كأنه ينزلق منه بعيدا كلما حاول أن يحدده أو يصفه . [75] لكن مع كل ما عينه إدوارد سعيد من ذكريات عن حياته في الأمكنة الثلاثة التي تنقل بينها يبقى السؤال لماذا كان يشعر دائما بكونه خارج المكان؟ هل لأنه

فقد مكانه الأول ؟ فبالرغم من كل ما وصل إليه إدوارد سعيد لماذا يلمح القارئ في سيرته هذا الالتباس في علاقته بالمكان ؟ وما هو المسمى الذي يمكن أن يهبه سعيد لجغرافيته الأولى ؟.

القدس الضياء والبيت

إن ذكريات جبرا وسعيد ظلت تأبى إلا أن تحتفظ للقدس بمسمياتها الأصيلة المادية والروحية ،فقد ترك جبرا إبراهيم جبرا للقدس مكانها الأول في البئر الأولى ليحفظها داخله. القدس ، ووهجها الذي "ينتشر فوق الأفق وراء الجبل ، [...] إنه ضياء مدينة القدس. يريد الله لها أن تتوهج في وسط الظلام الذي يملأ الدنيا." **[76]** هذا ما قاله أخوه يوسف عندما سأله جبرا عن الضياء الغريب الذي يغطي الأفق .أما الكتابة في خارج المكان فمنحت لإدوارد سعيد تلك الذاكرة المضاعفة في استبقاء وطنه حاضرا ،وهو ما عبر عنه قائلا "وهذه المذكرات هي في وجه من وجوها استعادة لتجربة المغادرة والفراق إذ أشعر بوطأة الزمن يتسارع وينقضي. ولما كنت قد عشت في نيويورك بإحساس مؤقت على الرغم من إقامة دامت سبعة و ثلاثين عاما فقد فاقم ذلك من ضياعي المتراكم بدلا من مراكمة الفوائد "**[77]** فبالرغم مما حققه إدوارد سعيد من مكاسب في المنفى إلا أن شعوره بالفقد ظل يتكرر دائما معه ،وإحساسه بأنه" بعيد عن البيت "**[78]** كان الإحساس الذي لم يفارقه طوال حياته أو بالأحرى الانفصال عن القدس مدينة الألوان التي صقلت موهبة جبرا الفنان التشكيلي ،برسوماتها على جدران الكنائس ، والموسيقى المنبعثة من ترانيم المنشدين فيها .

وقد ظللت سماء القدس بظلالها ابن بيت لحم جبرا إبراهيم جبرا سنة 1932 ، واستقبلت عائلة وديع سعيد ميلاد ابنها إدوارد سعيد تحت ذات السماء 1935. بات مصير الواحد منهما محكوما بجغرافية **القدس** سواء عاش الأول في بغداد،أو الثاني في الولايات المتحدة الأمريكية ربما لأنه لا ينبغي النسيان نسيان مفارقة البيت والوطن والمأساة .فلا يمكن لجبرا أن ينسى وطنه" ففلسطين لم تكن تغيب عن بالي لحظة واحدة ، ولا كانت تغيب عن بالي هموم أسرتي في تلك الفترة العصيبة – ومتى لم نكن يوم ولدت لا نمر أفرادا أو وطنا في فترة عصيبة ، وكأننا كل يوم نقهر قدرا لا يفك حصاره عنا " **[79]** ، وعليه فإن جبرا استشعر الحياة القلقة من خلال المعاناة التي عاشتها أسرته.

ولئن صنعت السنة التي قضاها جبرا إبراهيم جبرا في الولايات المتحدة الأمريكية تصوراته عن الشرقي الذي يذهب صوب الغرب من عليه "أن يشق طريقه عموديا في تراكمه الحضاري – في تآليفه، وروايته ، وعلومه ، وفنونه "**[80]** فقد ترسخت في ذهنه بعض الشكوك – متسائلا– عن جدوى إتباع الشرقي طريقه "في تراكمات الثقافة الغربية :أليس من الأجدى أن ينمي المرء طاقاته بالبحث عن غذاء له في هذا القلق

الشاسع ، الطالع النازل في بلادنا العربية ،هذا القلق الذي مازال يتيح للفرد فسحات عريضة من الفعل والتأثير ليس في الغرب ما يضاهيها ؟"[81]. أما القلق الذي تحدث عنه جبرا فقد عايناه هو نفسه عن قرب في مأساة بلاده.

لكن هل يمكن أن يكون هناك استثناء يأتي من القدس نفسها يشق طريقه في الغرب بكل تراكماته الثقافية طباقيا ، ويقرأ تآليفه ، ورواياته ، ويتعرف على فنونه ، وأن لا يفارقه القلق النازل بوطنه بالمأساة التي يعانيها الشعب الفلسطيني بل سيحمل إدوارد سعيد القلق نفسه الذي حمله جبرا بين جوانبه .وسيتاح له أن يبثه في كل ما كتب عن منفاه ، وفلسطين ، ذلك أن ما كتبه في خارج المكان ،وإن حمل تاريخا شخصيا فقد وجد سعيد نفسه يكتب مذكراته على خلفية ما جرى في الشرق الأوسط [82].

وعلى النحو الذي تمثلت فيه الكتابة السير ذاتية عند جبرا إبراهيم جبرا وإدوارد سعيد القدس من موقع الاغتراب والمنفى لتصبح الكتابة عنها ملاذا ، وهاجسا للاقتراب منها ،أو العودة إليها ، فكثيرا ما صادف المحكي عن القدس نتاجات أدبية تولدت من رحم المخيلة فحسب ، وأخرى ترسمت الحفر في الذاكرة باعتبارها نقوشا لا تتمحي بسهولة . والحال أن أكثر النقوش رسوخا جاءت من محكيات عاشت الابتعاد والانفصال عن وطنها .فهذا الحفر الذي يشتغل في البئر الأولى وخارج المكان يبرز خصوصية هذه الكتابة المؤثلة لحميمية علاقتها بالقدس لكونها المأوى والمكان الوحيد الذي ظل يحن إليه من سكن في شارع الأميرات ،وكما ستظل القدس البيت لمن عرف أنه منذ إبعاد عائلته عن وطنه سنة 1948 سيبقى أسيرا لحقيبة سفره .

الهوامش و الإحالات

1. يوسف كرم ،تاريخ الفلسفة الحديثة ،دار المعارف ،مصر ،ط5 ،1986 ،ص 222 .
2. يمنى طريف الخولي ، الزمان في الفلسفة والعلم ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، مصر ب- ط ، 2012 ،ص 19 .
3. صلاح فضل ، النظرية البنائية في النقد الأدبي ،دار الشروق ،مصر ، ط1 ،1998 ،ص218 .
4. مجموعة من المؤلفين ، جماليات المكان ، عيون المقالات باندونغ ،الدار البيضاء ،المغرب ،ط 2 ،1988 ، ص03.
5. جبرا إبراهيم جبرا ،الحرية والطوفان ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت لبنان ،ط2 ،1979 ،ص131 .
6. المرجع نفسه ،ص 124 .
7. إدوارد سعيد ،تأملات في المنفى مقالات أخرى 1 ، ترجمة ثائر ديب ،دار الآداب ،بيروت لبنان ،ط2 ، 2007 ،ص 380 .
8. حليم بركات ،غربة الكاتب العربي ، دار الساقي ، بيروت لبنان ،ط 1 ، 2011 ، ص109 .
9. إدوارد سعيد ، الثقافة والإمبريالية ، ترجمة كمال أبو ديب ، دار الآداب ،بيروت لبنان ،ط 4 ، 2014،ص 66 .
10. المرجع نفسه ،ص 66 .
11. إدوارد سعيد ،عن الأسلوب المتأخر موسيقى وأدب عكس التيار ، ترجمة فواز طرابلسي دار الآداب ،بيروت لبنان ، ط 1 ،2015 ،ص 11 .
12. مجموعة من الأكاديميين العرب ،الفلسفة العربية المعاصرة ،منشورات ضفاف وآخرون ، بيروت لبنان ،ط 1 ،2014 ،ص 472 .
13. ستيفن هاو ،إدوارد سعيد :المسافر والمنفى ،ترجمة صبحي حديدي ، مجلة الكرمل، بيروت لبنان ،عدد 78 ، شتاء 2004 ، ص16
14. إدوارد سعيد ،تأملات في المنفى ،ص 380 .
15. فيليب لوجون ، السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي ، ترجمة عمر حلي ،المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء المغرب ،ط 1 ، 1994 ،ص 22 .

16. ينظر :إدوارد سعيد ، خارج المكان ،ترجمة فواز طرابلسي ،دار الآداب ،بيروت لبنان ،ط2 ، 2014 ،ص 21 .

17. المرجع نفسه،ص 19 .

18. ينظر: إدوارد سعيد ،تأملات حول المنفى ومقالات أخرى 1 ، ترجمة ثائر ديب ،دار الآداب ،بيروت لبنان ، ط2 ، 2007 ،ص 369 .

19. إدوارد سعيد ، خارج المكان ،ص 25 .

20. المرجع نفسه ،ص 42 .

21. نفسه ،ص35 .

22. نفسه ،ص نفسها .

23. فخري صالح ، إدوارد سعيد دراسة وترجمات ،منشورات الاختلاف ،الجزائر ،ط 1 ،2009 ، ص 40 .

24. جبرا إبراهيم جبرا ،شارع الأميرات فصول في سيرة ذاتية ،دار الآداب ،بيروت لبنان ، ط2 ،2012 ،ص 05 .

25. جبرا إبراهيم جبرا ،البئر الأولى فصول من سيرة ذاتية ، دار الآداب ،بيروت لبنان ،ط 1 ، 2009 ، ص 12 .

26. جبرا إبراهيم جبرا ،الفن والحلم والفعل ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد العراق ،ب–ط ، 1985 ،ص 366 .

27. جبرا إبراهيم جبرا ،البئر الأولى ،ص 15 .

28. جبرا إبراهيم جبرا ،الفن والحلم والفعل ،ص 391–392 .

29. جبرا إبراهيم جبرا، البحث عن وليد مسعود ، مكتبة الشرق الأوسط ، بغداد العراق ،ط3 ، 1985 ،ص 11 .

30. جبرا إبراهيم جبرا ، البئر الأولى ،ص 08 .

31. حليم بركات ، غربة الكاتب العربي ،ص 69 .

32. جبرا إبراهيم جبرا ، شارع الأميرات ،ص 05 .

33. جبرا إبراهيم جبرا ، الحرية و الطوفان ،ص 124 .

34. جبرا إبراهيم جبرا ، البئر الأولى ،ص 10 .

35. المرجع نفسه ،ص نفسها .

36. جبرا إبراهيم جبرا ، تأملات في بنيان مرمري ،رياض الريس للكتب والنشر ، المملكة المتحدة ، ب- ط ،1989 ،ص 87 .

37. المرجع نفسه ، ص 88 .

38. ينظر: جبرا إبراهيم جبرا، البئر الأولى،ص76 -78 .

39. المرجع نفسه، ص 79 .

40. نفسه ،ص80 .

41. المرجع السابق ،ص 102 .

42. نفسه، ص101 .

43. نفسه،ص 103 .

44. نفسه ،ص نفسها .

45. جبرا إبراهيم جبرا ،تأملات في بنيان مرمري ،ص 89 .

46. ينظر : جبرا إبراهيم جبرا ،البئر الأولى ، ص 105 .

47. جبرا إبراهيم جبرا ، تأملات في بنيان مرمري ،ص 89 .

48. جبرا إبراهيم جبرا ،البئر الأولى،ص 105 .

49. المرجع نفسه ، ص نفسها .

50. نفسه ، ص نفسها .

51. نفسه،ص 181 .

52. حليم بركات ، غربة الكاتب العربي، ص 74 .

53. جبرا إبراهيم جبرا ،البئر الأولى ،ص182 .

54. المرجع السابق ،ص 212 .

55. إدوارد سعيد ،خارج المكان ،ص271 .

56. المرجع نفسه، ص 20 .

57. إدوارد سعيد ،تأملات في المنفى ،ص 117 .

58. ستيفن هاو ،إدوارد سعيد :المسافر والمنفى،ص 22 .

59. إدوارد سعيد ،خارج المكان ،ص 22

60. المرجع السابق،ص نفسها .

61. نفسه ،ص 45 .

62. حليم بركات ،غربة الكاتب العربي ،ص 113 .

63. إدوارد سعيد ، خارج المكان ،ص 268 .

64. المرجع نفسه ،ص 45 .

65. نفسه ،ص 22 .

66. المرجع السابق ،ص 45 .

67. نفسه ،ص نفسها .

68. نفسه ،ص46 .

69. نفسه ، ص46 –47

70. نفسه ،ص47

71. نفسه ،ص نفسها.

72. نفسه ، ص 50 .

73. المرجع السابق ،ص 52 –53 .

74. نفسه ،ص 47 .

75. إدوارد سعيد ، تأملات في المنفى ، ص371 .

76. جبرا إبراهيم جبرا ، البئر الأولى ، ص 99.

77. إدوارد سعيد ،خارج المكان ، ص276.

78. المرجع نفسه، ص نفسها .

79. جبرا إبراهيم جبرا، شارع الأميرات ،ص 45 .

80. جبرا إبراهيم جبرا ، الحرية والطوفان ، ص 134 .

81. المرجع نفسه، ص نفسها .

82. إدوارد سعيد ، خارج المكان ، ص 21 .

مصادر البحث ومراجعه

1. إدوارد سعيد ، خارج المكان ،ترجمة فواز طرابلسي ، دار الآداب ،بيروت لبنان ، ط2 ، 2014.
2. إدوارد سعيد ،تأملات حول المنفى ومقالات أخرى 1 ، ترجمة ثائر ديب ،دار الآداب ،بيروت لبنان ، ط2 ، 2007.
3. إدوارد سعيد ، الثقافة والإمبريالية ، ترجمة كمال أبو ديب ، دار الآداب ،بيروت لبنان ،ط 4 ، 2014 .
4. إدوارد سعيد ،عن الأسلوب المتأخر موسيقى وأدب عكس التيار ، ترجمة فواز طرابلسي ،دار الآداب، بيروت لبنان، ط 1، 2015.
5. جبرا إبراهيم جبرا ،البئر الأولى فصول من سيرة ذاتية ، دار الآداب ،بيروت لبنان ،ط 1 ، 2009
6. جبرا إبراهيم جبرا، البحث عن وليد مسعود ، مكتبة الشرق الأوسط ، بغداد العراق ،ط3 ، 1985
7. جبرا إبراهيم جبرا ، تأملات في بنيان مرمري ،رياض الريس للكتب والنشر ، المملكة المتحدة ، ب- ط ،1989.
8. جبرا إبراهيم جبرا ،الحرية والطوفان ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت لبنان ،ط2 ،1979.
9. جبرا إبراهيم جبرا ،شارع الأميرات فصول في سيرة ذاتية ،دار الآداب ،بيروت لبنان ، ط2 ،2012.
10. جبرا إبراهيم جبرا ،الفن والحلم والفعل ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد العراق ،ب- ط ، 1985 .
11. حليم بركات ،غربة الكاتب العربي ، دار الساقي ، بيروت لبنان ،ط 1 ، 2011 .
12. ستيفن هاو ،إدوارد سعيد :المسافر والمنفى ،ترجمة صبحي حديدي ، مجلة الكرمل ،بيروت لبنان ،عدد 78 ، شتاء 2004 .
13. صلاح فضل ، النظرية البنائية في النقد الأدبي ،دار الشروق ،مصر ،ط 1998،1.
14. فخري صالح ، إدوارد سعيد دراسة وترجمات ،منشورات الاختلاف ،الجزائر ،ط1 ،2009 .
15. فيليب لوجون ، السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي ، ترجمة عمر حلي ،المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء المغرب ،ط 1 ، 1994 .
16. مجموعة من الأكاديميين العرب ،الفلسفة العربية المعاصرة ،منشورات ضفاف وآخرون ،بيروت لبنان ،ط 1 ،2014 .
17. مجموعة من المؤلفين ، جماليات المكان ، عيون المقالات باندونغ ،الدار البيضاء ،المغرب ،ط 2 ،1988 .

18. يمنى طريف الخولي ، الزمان في الفلسفة والعلم ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ،مصر ، ب- ط ، 2012 .
19. يوسف كرم ،تاريخ الفلسفة الحديثة ،دار المعارف ،مصر ، ط5 ،1986.